الفصل الرابع

ثم نخرجكم طفلاً

obeikandl.com

obeikandl.com

ثم نخرجكم طفلاً

﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسمى ثُمَّ نُخْرِجُكُم طِفْلاً﴾ [الحج : ٥].

ما يكاد المتأمل في خلق الإنسان يفيق من ذهوله في عجيبة من عجائب القدرة، حتى يأخذه الذهول من جديد في عجيبة أخرى!

وأية عجيبة أغرب من هذه النطفة التي تراق، فتمتد لها يد القدرة، فتودعها في قرار مكين، إلى أجل مسمى، وترعاها، فإذا هي تستوي بشراً تحسّ به الأم يتحرك في أحشائها حين يبلغ من العمر ١٨ ـ ٢٠ أسبوعاً، بعد رحلة مفعمة بالتعقيد والإبداع والقدرة والحكمة ومحكمات السنن التي لا تتبدل ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾

[الفتح : ٢٣]، وإذا يد القدرة تهيىء لهذا البشر ولادة كل ما فيها قدرة وإعجاز!

وأية قدرة مبدعة، تلك التي تجعل التوازن الهورموني الذي يحفظ استقرار الجنين ينقلب، فجأة، حين ينقضي الأجل المرسوم، فيجعل الرحم التي كانت تضم جنبيها على الجنين برقّة وحنان تسعة أشهر شمسية كاملة، تتقلص في مخاض عنيف، حتى تخرج الجنين؟!

وأي إعجاز هذا الذي نرى في الحوض، وقد نُسِّقت عظامُه، على هيئة تتيح عبور الجنين بيُسْرٍ من فوهة الحوض العليا ثم خروجه بسلام من الفوهة السفلى؟!

أهي الصدفة، أم هو الله ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه: ٥٠] يلهم الجنين أن يتخذ هيئة تتيح له العبور من الحوض، فإذا هو يضم يديه إلى صدره، ويضم رجليه إلى بطنه، ثم يثني عنقه حتى

تلامس ذقنُه صدرَه، ويتقدم بمؤخرة رأسه (في ٩٥٪ من الولادات) نحو مدخل الحوض، ويعبر؟!

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٠].

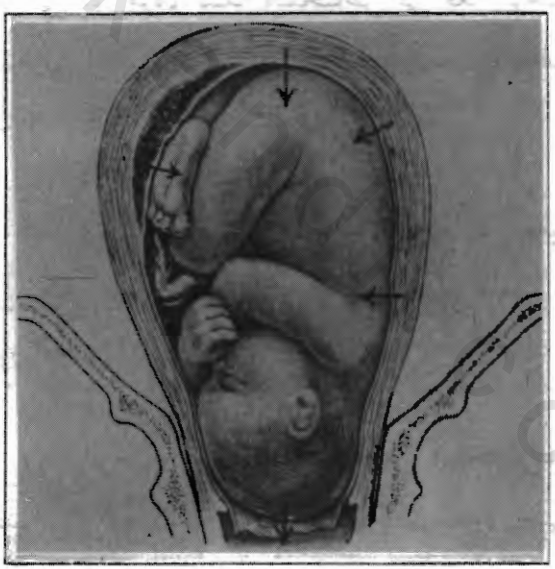

● ولادة الجنين

كيف لا تبهرهم عظمة يد القدرة، في تقلصات عضلة الرحم وفي تطورها أثناء المخاض وبعده، إذ تبدأ خفيفة متباعدة فتمكث ١٠ ثوان تقريباً ثم تختفي وتعود مرة أخرى بعد ٣٠ دقيقة، ثم تشتد تدريجياً وتتقارب فتمكث دقيقة واحدة تستريح الولّادة بعدها ٣ دقائق ثم يعاودها المخاض من جديد؟!

وفي كل مرة، يبدأ المخاض في قعر الرحم، ثم ينتشر إلى الجسم فالعنق، ويشتد في القعر، ويخفّ عند العنق!

فإذا عنق الرحم المغلقة تتسع، مع كل انقباض، حتى تفتح كلياً فتصل إلى ١٠ سنتمترات، وتغدو ممهدة لعبور الجنين!

وإذا الرحم، مع كل انقباض في المخاض، تدفع الجنين إلى أسفل، نحو العنق المتوسعة، حتى تتم الولادة!

أرأيت لو أن هذه التقلصات الشديدة، أثناء

المخاض، مكثت طويلاً، دون أن تعقبها فترات استراحة، إذن لقَتل الجنين من الضغط الشديد عليه، ولأبطأ جريان الدم أو انحبس في المشيمة التي يتزود منها الجنين بالأكسجين والغذاء، فهلك!

ولسوف يروعك ساعة المخاض ما ترى من الغدة الكظرية (غدة فوق الكلية) في الجنين، إذ تفرز كميات كبرى من (هورمون الأدرينالين وهورمون النورادرينالين) اللذين يزيدان نبضات القلب وقدرة القلب على ضخ الدم ويرفعان نسبة السكر، من أجل تغذية الدماغ الحساس للأكسجين والسكر!

وإنك لن تملك نفسك من الذهول حين تعلم قول العلماء من أن هذه الغدة الكظرية لا تفرز كميات كبرى من هذه الهورمونات في أية مرحلة أخرى من العمر!

ثم إنك لن تملك نفسك من أن تهتف: سبحان الله!

أرأيت لو أن التقلصات الشديدة في عضلة الرحم استمرت، على هيئتها، بعد أن يولد الجنين وتسقط

المشيمة، إذن لتفجر النزيف من بطانة الرحم في المكان الـذي انسلخت منه المشيمة، ولأودى بحياة الأم خلال دقائق معدودات!

تأمل تلك الأفانين من عجائب الإبداع الإلهي، في خلق عضلة الرحم، لمنع هذا النزيف بعد الولادة. فقد امتدت يد القدرة إلى عضلة الرحم، فنسجتها على هيئة شبكـة، كل جزء فيهـا على هيئـة الرقم « 8 »، فإذا ولد الجنين وسقطت المشيمة، انقبضت الرحم، بأمر تتلقاه من الغـدة النخـامية في المـخ، انقبـاضاً واحداً شديداً مستمراً، حتى تغدو كأنها كتلة صلدة، فإذا بألياف عضلة الـرحم في كل حلقـة من حلقات تلك الشبكة تنكمش وتضغط على الشرايين والأوردة المتهتكة التي تمر عبرها، فتغلقها، وتمنع النزيف!

﴿هٰذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

صور لا تنتهي، من الإبداع والحكمة، يذهل لها المتأمل!

فهل يتأمل الإنسان نفسه، فإذا له فيها آية تهديه، فلا يتخبط في الظلمة والحيرة؟!

أم تضيع الآيات سدى؟!

ويظل الإنسان يشيح بوجهه عن الهدى، وينأى بخطاه عن سواء السبيل؟!

obeikandl.com